الوحدة الأولى: مفهوم مجتمع المعرفة

تمهيد:

يشكّل مفهوم "مجتمع المعرفة (Knowledge Society) "حجر الزاوية في فهم التحوّلات التي تشهدها المجتمعات المعاصرة، فلم يعد مجتمع المعرفة مجرد تنبؤات مستقبلية، بل أصبح واقعا ملموسا تُعيد فيه المعرفة تشكيل كل مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. تبحث هذه الوحدة في الجذور التاريخية والأكاديمية لهذا المفهوم، وتعريفاته، وخصائصه المميزة، والدور المحوري للمعرفة في قيادة عملية التنمية.

1- التطور التاريخي لمفهوم مجتمع المعرفة وجذوره السوسيولوجية

لم يظهر مفهوم مجتمع المعرفة من فراغ، بل هو نتاج تطور فكري وسوسيولوجي طويل، يمكن تتبعه عبر المراحل التالية:

أ- الأسس الكلاسيكية:

يمكن العثور على الجذور المبكرة لفكرة أهمية المعرفة في أعمال مفكرين مثل فرانسيس بيكون الذي أكد على أن "**المعرفة قوة**"، ولكن الطابع الاقتصادي والاجتماعي برز لاحقا، أما بيتر دراكر (Peter Drucker)في مؤلفه"**مجتمع ما بعد الرأسمالية**": الأب الروحي للمفهوم الحديث. في كتابه المؤثر "عصر الانزياح: تقارير عن عالم جديد(The Age of Discontinuity) "، وتحديدا في كتابه اللاحق "**مجتمع ما بعد الرأسمالية** "(Post-Capitalist Society)الصادر عام 1993، فقد قدم دراكر فكرة أن المصدر الأساسي للثروة لم يعد رأس المال أو الأرض أو العمل، بل "المعرفة"، و رأى أن العامل المعرفي (Knowledge Worker) سيصبح الطبقة الاجتماعية المهيمنة، وأن الاقتصاد سيتحول من اقتصاد قائم على السلع إلى اقتصاد قائم على المعرفة.

أما عالم الاجتماع الأمريكي دانييل بيل (Daniel Bell) أطلق مصطلح"**مجتمع ما بعد الصناعة**": وذلك في كتابه "قدوم مجتمع ما بعد الصناعة (The Coming of Post-Industrial Society) "عام 1973، والذي حدد فيه خمس سمات رئيسية لهذا المجتمع:

- التحول الاقتصادي من إنتاج السلع إلى تقديم الخدمات.
- هيمنة الطبقة المهنية والتقنية.
- المركزية النظرية للمعرفة (وخاصة المعرفة النظرية) كمصدر للابتكار وصياغة السياسات.
- التوجه نحو التحكم في التكنولوجيا وتقييمها.
- صناعة "تقنيات فكرية" جديدة مثل بحوث العمليات ونظرية القرار.

و يرى بيل أن مجتمع ما بعد الصناعة هو في جوهره مجتمع معرفة، لأن موارد المعرفة والتكنولوجيا هي التي تحل محل العمل ورأس المال كمتغيرات إستراتيجية، في حين أن مانويل كاستيلز (Manuel Castells) سماه"**مجتمع الشبكة**": وهذه الفكرة في عمله "عصر المعلومات: الاقتصاد، المجتمع، والثقافة. (The Information Age: Economy, Society, and Culture) " وقد أبرز كاستيلز أن السمة المميزة للمجتمع المعاصر ليست المعلومات بحد ذاتها، بل "**البنية الشبكية** " (Network Society)التي تتيح المعالجة الفعالة للمعلومات وتوليد المعرفة. وأكد على أن "المصدر الجديد للقوة يكمن في رموز التمثيل الثقافي والمعلوماتية التي تخلقها المجتمعات البشرية.

2- التعريفات المختلفة لمجتمع المعرفة في الأدبيات الأكاديمية المعاصرة

- **التعريف الاقتصادي:** يركز على اعتبار المعرفة سلعة اقتصادية وعاملا إنتاجيا رئيسيا، فمثلا، تعرفه منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) بأنه "اقتصاد يقوم بشكل مباشر على إنتاج المعرفة وتوزيعها واستخدامها هنا، يكون التركيز على "اقتصاد المعرفة" كتجسيد لمجتمع المعرفة.
- **التعريف السوسيولوجي:** ينظر إلى مجتمع المعرفة كشكل جديد من التنظيم الاجتماعي. يعرفه نيكولاس ستير (Nico Stehr) بأنه مجتمع تكون فيه "المعرفة العلمية والعملية هي القوة المحركة الرئيسية، وليس العمل أو رأس المال .(Stehr, 1994, p. 8) "وهو مجتمع تتسع فيه قدرات الأفراد الفعلية (Agency) بسبب امتلاكهم للمعرفة.
- **التعريف التنموي (اليونسكو):** تقدم منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (UNESCO) تعريفاً شاملا يركز على البعد الإنساني والتنموي. ففي تقريرها الرئيسي "نحو مجتمعات المعرفة(Towards Knowledge Societies) "، تؤكد أن مجتمع المعرفة ليس مجرد مجتمع للاقتصاد الرقمي، بل هو مجتمع "يقوم على تنوع الثقافات والمهارات، ويهدف إلى تحقيق التنمية البشرية المستدامة،

ويوسع نطاق القدرات والخيارات المتاحة للمواطنين، ويحمي ويعزز حقوق الإنسان والحريات الأساسية .(UNESCO, 2005, p. 27) " هذا التعريف يضع مفاهيم مثل المشاركة والشمول والعدالة في صلب تعريف مجتمع المعرفة.

3- الخصائص الجوهرية المميزة لمجتمع المعرفة عن المجتمعات التقليدية: يتميز مجتمع المعرفة بعدة خصائص أساسية تميزه عن المجتمعات الزراعية والصناعية:

- ❖ المعرفة كمورد رئيسي غير نافذ: في حين أن الموارد التقليدية (كالنفط) تنفذ بالاستخدام، فإن المعرفة تتضاعف وتتطور كلما استخدمت وتمت مشاركتها بين الأفراد.
- ❖ سيطرة قطاع الخدمات: هيمنة الأنشطة الاقتصادية القائمة على المعرفة المكثفة مثل الخدمات المالية، والتأمين، والصحة، والتعليم، والاتصالات، والبحث والتطوير.
- ❖ بروز "العامل المعرفي :(Knowledge Worker) "صعود طبقة مهنية تعتمد في عملها الأساسي على إنتاج المعرفة أو تطبيقها أو نشرها، مثل العلماء، والمهندسين، والمبرمجين، والمحللين، والمعلمين.
- ❖ التعلم مدى الحياة :(Lifelong Learning) بسبب سرعة تقادم المعرفة، يصبح التعلم المستمر ضرورة وليس خياراً للحفاظ على المهارات والقدرة على المنافسة في سوق العمل.
- ❖ الاعتماد المكثف على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات :(ICT) تشكل البنية التحتية المعلوماتية (الإنترنت، الحواسيب، الشبكات) النظام العصبي الذي يسمح بخلق المعرفة وتداولها بسرعة غير مسبوقة.
- ❖ الطبيعة الشبكية :(Networking) تفكك الهياكل الهرمية التقليدية لصالح هياكل مرنة وشبكية تفضل التعاون والتواصل الأفقي داخل المؤسسات وفيما بينها.

4-دور المعرفة كمحرك أساسي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية: لم تعد التنمية تعني فقط زيادة الناتج المحلي الإجمالي، بل أصبحت مرتبطة ارتباطا عضويا بقدرة المجتمع على إنتاج المعرفة واستيعابها:

في المجال الاقتصادي:

- الابتكار: أصبح الابتكار، القائم على البحث والتطوير، المحرك الرئيسي للنمو الاقتصادي طويل الأمد والقدرة التنافسية للدول.
- الإنتاجية: يؤدي تطبيق المعرفة الجديدة في العمليات الإنتاجية إلى زيادة هائلة في الإنتاجية والكفاءة.
- صناعات جديدة: تظهر صناعات كاملة قائمة على المعرفة مثل التكنولوجيا الحيوية، والنانو تكنولوجي، والذكاء الاصطناعي.

في المجال الاجتماعي:

- التمكين: تمكن المعرفة الأفراد والمجتمعات، مما يوسع خياراتهم ويزيد من مشاركتهم في الحياة الاجتماعية والسياسية.
- تحسين جودة الحياة: تساهم المعرفة في تحسين الخدمات الأساسية مثل الرعاية الصحية (من خلال التطبيقات الطبية المتقدمة) والتعليم من خلال التعلم الإلكتروني.
- الفجوة الرقمية: يخلق مجتمع المعرفة خطرا جديدا يتمثل في "الفجوة الرقمية (Digital Divide) "بين من يملكون إمكانية الوصول إلى المعرفة والتكنولوجيا ومن لا يملكونها، مما يؤدي إلى تفاقم أوجه عدم المساواة الاجتماعية إذا لم تتم إدارته بسياسات فعالة.